١٠

ما زال يحلم أن يصبح رجلاً ..

فريد هنيدي

طار من السعادة عندما لعب القدر لعبته التى حال فيها دون ترشيح صديقه رأفت إبراهيم لزراعة القاهرة التى يستحقها وأرسله إلى كلية الزراعة بالإسكندرية. ولأن فريد جاء ترشيحه فى معهد التربية الرياضية بالإسكندرية أيضًا، فقد قال للناس:

ـ «**كأنه خطأ جاء صدفة لصالحي. فأنا ورأفت أصبحنا معًا بالإسكندرية.**»

أما الأسطى إبراهيم عبد الواحد فيقول من خلال دهشته:

ـ «**اذهب لعمك يا رأفت وابحث معه سرّ هذه الغلطة.. دعه يا بنى يحاول تحويلك إلى القاهرة، ألم تكتب أن القاهرة هى رغبتك الأولى؟**»

ويبتسم رأفت: «**يا أبى.. فريد يقول إنها غلطة لصالحه.. أنا الآن أمنت أنها لصالحى أيضًا.**»

جذبه إليه فريد بساعديه المفتولين وضمه إلى حضنه:

ـ «**الخيرة فيما اختاره الله.**»

فلم يحدث قط أن كان فريد هنيدى قريبًا برغبته من أحد أبناء عباس النحّال، فرأيه بهم كان معلنًا باستمرار، ولم يحدث أن اقترب من فتيان إلا لأسابيع معدودة ظن فيها أنه يمكنه تأمين حاجته من لحوم الأرانب فى مسلسل اهتمامه ببناء جسده بالحرص على التغذية السليمة.. الوحيد الذى ظل لصيقًا به إلى أن اختفى من البلد هو طاهر زين الدين وما إن فجع ـ مثل أهله ـ بهروبه الغامض حتى وهب هذا الالتصاق لرأفت

إبراهيم، فصار يسعى إليه كلما فرغ من تدريباته، وصارت قصة طاهر هي محور حواراتها الحزينة، تليها قصة الحب الصامت الذى يعيشه رأفت مع نفسه دون أن ينسى محبوبته ليلى حمزة عبد الواحد.. ولا يفتأ فريد الذى يقرأ الكتب والمجلات أن يشاكسه وينصحه أن يدس لها ورقة فى يدها بها هذه الكلمات: «ياللى محّدش قال لك ع الشوق اللى أنا فيه، بكره الشوق يوصل لك وتجرّب لياليه»

ولأن رأفت الطيب الخجول لا يمكن أن يفعل ذلك، فقد قال لفريد:

ـ «**تنصح أميرًا باحتضان جارته فى مقعد السينما، وتنصحنى بهذا الكلام؟**»

ويضحك فريد: «**ماذا أفعل لكما؟.. واحد حمار، والثانى خائب..**»

ثم يحكى له فريد عن بنات المدينه اللاتى يترددن على النادى الرياضى ليشاهدن أبطال المستقبل من شباب الرياضة بإعجاب حتى أن إحداهن وضعت له خطاب غرام فى سترته المعلقة على الشماعة.. وتتعالى دهشة رأفت:

ـ «**بنت تفعل ذلك؟ أنا لا أصدق.**»

ولأن رأفت مؤدب فهو لا يسأل «فريد» عما فعله فى مواجهة هذه البنت، ولو كان قد سأله لكان قد سمع أنباء جديدة عن بنات أخريات قمن معه بهذه المغامرة.. فهو النجم الصاعد الذى تلتف حوله المعجبات. وهو الذى كان سباقًا فى الإعجاب بنفسه وجسمه الجميل منذ أن قرر أن يكون أحد أبطال كمال الأجسام فى القطر المصرى.

فعندما شاهد فريد هنيدى تلميذ الإعدادية صورة لبطل كمال الأجسام عبد الحميد الجندى تحتل صفحتين متقابلتين فى مجلة آخر ساعة لم يصدق عينيه أن يمتلك إنسان مثل هذه الرقبة الأسطوانية المحاطة بعضلات مشدودة الأوتار كأنها أعمدة تحمل عمارة هذا الرأس الجميل.. وانبهر أمام صدره العريض الذى يحمل ثديين برزا كجبلين بينهما واد ينحدر إلى سلسلة من العضلات فى صفحة البطن.

يومها نزع الصورة من المجلة.. وسمّرها على حائط غرفته، وظل يداوم النظر إليها صباحًا ومساء مستسلمًا لحلم يراوده أن يصبح مثل هذا البطل.. ولكن:

كيف يمكنه أن يكون مثله؟

اقترب بسؤاله من مدرس التربية الرياضية، فراح يتأمل بنيانه الجسدى الفارق عن قرنائه الذين فى مثل عمره ولم يفهم فريد إلا فيما بعد سرّ اهتمامه به.. وتشجيعه له.. فهو كما قال الأستاذ لديه الاستعداد الفطرى أن يصبح بطلاً.

لقد اقترب من هذا الأستاذ وصارا أصدقاء، وراحت علاقتهما تتوطد مع تطور نتائج التدريبات الشاقة التى نذر نفسه لها فريد، وعرف الأستاذ أن فريدًا رغم هذا التطور لا يملك برنامجًا غذائيًّا يحرص عليه، فعندما سأله عن برنامجه الغذائى أجابه قائلًا:

ـ «أنا آكل مما يأكله أهل بيتى..»

ـ «كيف هذا؟.. الفلاحون يأكلون الجبن والبيض أغلب الوقت..»

هكذا قال الأستاذ مستاء، ثم عمد إلى ورقة راح يكتب له فيها غذاء الأبطال..

* * *

رأته أمه يأتى بالفول ويهرسه فى السمن البلدى ثم رأته يقلى عشر بيضات فى كَمّ آخر من السمن وراح يلتهم فطوره الثرى بنصف دستة من أرغفة الخبز الطرى..

قالت له فيما بين الاستغراب وَالتأنيب: «كأنك تأكل آخر زادك فى الحياة..»

ومن فيه المكور الملىء بالطعام قال لها: «هذا فطور الأبطال»

سألته: «إن كان هذا هو فطورهم، فكيف يكون غداؤهم؟»

قال لها: «سترين بنفسك بعد التدريب.»

وفى الظهر كانت أمه تراقبه وهو يطبخ دجاجة سمينه فعلقت بكلمة عابرة:

ـ «هل تحولت من تلميذ إلى طباخ؟»

وتكررت حملاته المتقاربة على حظيرة الدجاج.. وزياراته المنتقاة للجزار فيأخذ لنفسه كيلو من اللحم على الحساب الذى يتولى دفعه شقيقه راضى..

وذات يوم خرج فيه من التدريب يتصبب عرقًا ـ ذهب إلى الحظيرة وأتى منها هذه المرة بدجاجتين ليطبخهما فأطلقت أمه صرخة فى وجهه اجتمع لها بعض الجيران واستيقظ على أثرها محمود ولدها الأكبر من نومة القيلولة.. «ما بك يا حاجة..؟»

ـ «أخوك فريد..»

ـ «ما به؟»

ـ «سيقضى على كل حظيرة الدواجن.. لم يبق إلا أن يأكل الجمل الذى حيلتنا.»

سحب محمود أمه من يدها وذهب بها إلى صورة البطل عبد الحميد الجندى:

ـ «فريد يا حاجة يريد أن يصبح فى حجم هذا البطل ..»

فسألته : «أسوف يُربى مثله كل هذا اللحم؟.. وماذا سيفعلان بكل هذا اللحم؟»

ولم تنتظر الإجابة على سؤالها، فقد خرجت وهى تهمهم:

ـ «إن كان يريد أن يصبح هكذا، فليذهب إلى عباس النحال ليعلفه مع بهائم المصلحة..»

* * *

وما إن هداه تفكيره إلى عقد مشاركة مقصودة مع فتيان فتيان ليتعلم منه كيف ينشئ مملكة على سطح منزلهم تشبه مملكة أرانبه ودواجنه الشهيرة حتى خاب أمله فيه فانسحب فريد سريعًا بأرانبه قليلة العدد وهو لا يدرى إن كانت تستحق أن ينشئ بها بدايات حظيرة أم ينتهى من كل هذه الأرانب ويذبحها ليأكلها مرة واحدة؟

فعندما أقبل عليه ابن أخيه الصغير يحمل قفصًا به ذكر وثلاث إناث من الأرانب كان يجلس على مصطبة منزلهم صديق جديد من أصدقاء النادى الذين تعرفوا عليه وهو يشاركهم التدريبات، لاحظ هذا الصديق أن فريدًا بدا متأففًا؛ لأن فتيان خصم أرنبًا «هو الأرنب الذى ذبحه لنفسه»

وجاءه هذا الصديق ومعه شاب بادر بسؤاله: «هل أنت من هواة تربية الأرانب»

ـ «أجل..»

ـ «أنا أيضًا أربيها فى فراندة شقتنا، ومستعد لمشاركتك إن كان لديك مكان فسيح..»

ـ «السطوح عندى تكفى لسباق الخيل..»

ـ «عندى سلالات جديدة.. لا أربى البلدى..»

ـ «هات ما بدا لك.. وحدد لى دورى..»

ـ «عليك الصناديق والخدمة والإطعام فقط مقابل نصف المكسب»

ـ «وأنا موافق..»

* * *

وكالغيث المفاجئ الذى يداهم أصحاب السقوف المخرومة انهمرت أرانب معتز الشرقاوى على شريكه بطل كمال الأجسام الواعد فريد هنيدى حتى صار استدعاء النجار لعمل صناديق إيواء الأرانب مهمة تشارك بها كل الأسرة.

وبعد قليل من الوقت تعلم بيت أولاد هنيدى أشياء جديدة.. وصار يستقبل كل يوم وجوهًا جديدة لأصدقاء جدد ينضمون إلى قائمة الأصدقاء القدامى لفريد هنيدى.

ولما أقبل فاروق ابن أحد كبار العمد بالمنطقة مصطحبًا كلبه المرعب معه ـ وقد أمسكه بسلسلة حديدية لامعة ـ اكتسبت المصطبة هالة من الأهمية والانتباه. فهاهم أهل البلد الذين يمرون على هذا الجمع السعيد يلقون تحياتهم باعتدال واحترام ظاهرين حتى أن ركاب المطايا منهم لا يتورعون عن النزول من فوقها تأدبًا لكل هؤلاء الذين لا يعرفونهم، وأمام هذا المد الذى يمتد فى بحر أصدقاء ولدها البطل والولائم التى يعقدها لهم من حين لآخر كانت تتعجب أم فريد وهى تتأمل كيف يمكن للأسباب الصغيرة أن تأتى فى ركابها بأحداث جسام، فقد استهانت بما يفعله فريد فى نفسه عندما يأتى بالأثقال فيحملها تارة وهو نائم على ظهره وتارة وهو يقف عاريًا إلا من قطعة قماش صغيرة يوارى بها عورته.. وكانت تسائل نفسها:

«وهل كل هؤلاء جاءوا هنا لمشاهدته أم مشاركته أم التسلى بما يفعله..؟..» ولما انهمرت سلالات الأرانب الجديدة وملأت سطوحهم التى أعاد محمود تنظيمها فركنوا القش بعيدًا وصنعوا مع النجار مظلة لاحتواء صناديق الأرانب تحتها أحست السيدة بأن الأمر أكبر مما كانت تعتقده.. فالخير الذى يسبح فى منزلهم لم يكن له مثل هذا الشأن ذات يوم فى حياتهم، وصارت وهى تثنى على هذا الخير العميم لا تملك نفسها من الدهشة وهى تتأمل أسبابه.. ثم وهى ترى الانهماك الذى يلفهم ويأخذهم باعتناء لخدمة

«التلاميذ» كما تطلق عليهم زوجة راضى.. أو الأفندية كما تطلق عليهم زوجة محمود، ولكن «بهية» زوجة راضى «ونعمة» زوجة محمود لا تنكران أن كرم «فريد» معهما ومع زوجيهما جعل خدمة الأخ الأصغر تتحول من مجرد مساندة إلى واجب، ومن مجرد تعاون طارئ إلى حق دائم، وقد أكبراه عندما كان يخص أهل منزله بعدد من الأرانب يساوى أرانب ضيوفه لينعموا بها فى ولائمه التى يعلو بها فى نظر الجميع.. من أهل وأصدقاء..

* * *

وفجأة وعلى غير انتظار فوجئت «بهية ونعمة» أن سيدهما الصغير يجهز نفسه للرحيل إلى الإسكندرية ومعه رأفت ابن الأسطى إبراهيم عبد الواحد، وقالت إحداهما:

- «**ولكن رأفت له ذراع أرفع من ذراع المطرحة.. فكيف يوزعونه مع الأستاذ؟**»

وتفهم من زوجها أن:

- «**رأفت ذاهب ليتعلم الزراعة ويصير ناظر زراعة.. لكن فريد..** »

ويلوذ بالصمت وهو يتساءل:

«**أيوه صحيح.. فريد أخويا لما يتخرج حيشتغل إيه؟**»

ويتذكر أنه لم يسبق له أن بحث هذا الأمر. لا مع نفسه و لا مع فريد..

كل ما يعرفه أن فريد لا هم له سوى شيء واحد وهو أن يصير بطلًا قويًا أسطوريًا كهذا البطل المعلق صورته على جدار غرفته..

ثم يتذكر أنه لم يسبق له أن سأل فريدًا حول الوظيفة التى يأكل منها هذا الجبل الصخرى الذى اسمه عبد الحميد الجندى.. لا لأن الجبال لا تأكل.. ولكن لأنها قائمة وراسية وشامخة، ويجب ألا يسأل المرء: كيف صارت الجبال هكذا؟